الاحتفاء بالاحياء والاموات

قرأت في الجزء الثالث من المقتبس ص ١٤٧ مقالاً تحت عنوان « روح جديدة » جاء فيه ان الأمة اخذت تتصبغ بصبغة الغربيين منذ انشأت تأخذ العلوم عنهم ومن ذلك اجلال رجال العلم والادب احياءً واموات . وقد رأيت دعوى ان ذلك روح جديدة وان ذلك من اخذ الشرقيين عنهم منظور فيها اذ قد دون التاريخ من امثال هذه الاحتفالات مالا يحصى . وما ذنبنا الا القصور بعدم التنقيب

ان الفقهاء باجمعهم على تنوع مذاهبهم عدوا من البدع تأبين الميت وذكر محاسنه ورثاءه قبل الدفن وبعده واستدلوا على ذلك بما روي من الآثار المعروفة في دواوين السنة اليس هذا لان القرون المتقدمة كان فيها شيء من ذلك: انشاد مراث وتعديد مناقب وبث خطب . بل ولولاه لما كان لتبييبهم معنى . ولم يزل ذلك معروفاً في عواصم البلاد فلا يموت عالم الا وتتلى قبل الصلاة عليه عدة قصائد وذلك قبل نفخ هذه الروح الجديدة في صور الشرق

واما تكريم الاحياء للاحياء فلم يزل يحتفل بختم دروس الكتب المهمة كالصحيحين والموطإ في دور مشايخ الحديث او احد اصحابهم احتفالاً يحضره كثير من اهل الفضل والادب وان اعوزهم مدح العلم والكتاب نظماً فلم يفتهم ذلك مذاكرة او لسان حال هذا اثر من آثار ما كان . ما الذي كان . كان اذا ختم عالم كتاباً مهماً من مؤلفاته يحتفل به افاضل العصر احتفالاً يذيع في كل قطر

اذكر من ذلك ما جرى عام ٨٤٢ لما ختم الحافظ ابن حجر كتابه فتح الباري شرح البخاري بالتاج والسبع وجوه بين كوم الريش ومنية الشيرج خارج القاهرة حضره من العلماء الذين حفظ التاريخ اسماءهم ثمانون بل نيفوا على ذلك واما من كان من الطبقة الوسطى فما دونها فأولئك لا يبلغهم الحصر ونظم من ادبائهم ومشاهيرهم في التنويه بهذا المشروع عدة قصائد . فمن ذلك قول الصلاح الاسيوطي من قصيدة

كم للبخاري من شرح وليس كما ... قد جاء شرحك في فضل وتتميم

وقول الشهاب المنوفي مطلع قصيدة ابياتها ٧٥

تمنعت بدموع الصب في حجب ... فانظر لشمس الضحى في حلة السحب

ومنها شرحت صدر البخاري مثل جامعه ... فراح ينشد هذا منتهى الطلب

ومنها هذا وحقك عام افتتح حرم به ... لبيت فضلك وفد العلم عن رغب

وقول البرهان البقاعي صاحب التفسير المعروف من قصيدة

بأبي الخدود نواضراً حسناتها كنواظر الغزلان في الديدن
قصدت بكون المسك حسن ختامها فتعلمت من ختم فتح الباري

وقصيدة لشمس الدين الدجوي وقصيدة للخطيب برهان الدين المليجي وقصيدة لمحب الدين البكري اولها

حديثك لي احلى من المن والسلوى اذا حل سمعي حرّم اللوم والسلوى

ومنها وكم من شروح للبخاري عدة طواها بفتح الباري اعجب لما يطوى
كساهُ جمالاً من عذوبة لفظهِ ففازت بهِ الدنيا وسلت الدعوى

ولهُ قصيدتان أُخريان وقصيدة لشرف الدين الطنوبي ولشمس الدين النواجي قصيدة كبرى منها

وكم طوى نشره كتاباً على ممر الدهور سرمد
ومن يكن علمهُ عطاءً من فتح باريهِ كيف ينفد

ولما فرّق مؤلفهُ صرر فضة ومجامع حلوى انشد الدجوي

بفتح الباري انشرح البخاري واحمد ختمهُ بالفضل جامع
ادار دراهما صرراً فأنشى وحلوى فيهِ تأخذ بالمجامع

واذكر ايضاً ان في سنة ١١٨٨ اكمل اللغوي الشهير السيد مرتضى الزبيدي عليه الرحمة شرحهُ تاج العروس على القاموس واحتفل في داره بالتنويه بهذا المصنف البديع احتفالاً حضرهُ شيوخ الوقت وكبار الادباء كان منهم شيخ الجماعة الشيخ علي الصعيدي والدردير والسيد العيدروس والامير الكبير وعطية الاجهوري وعبادة العدوي وابو الانوار السادات ومن في طبقتهم والطبقة الوسطى وما بعدها كما فصلهُ الجبرتي. ومن المشاهير في التنويه بذوي الادب والاحتفال بهم في القرن الغابر الامير المجاهد السيد عبد القادر الحسني الجزائري ثم الدمشقي الشهير فانه كان اذا قدمت اليه مقامة ادبية يدعو للتنويه بنشئها شيوخ الشام ويولم لهُ انفس الولائم شتاء في البلدة وصيفاً في متنزهه بدمر وقد خدم لاجله الصناعتين عدد ليس بالقليل فلكل عصر افراد وكل وقت لهُ صبغة خاصة ومهما تباينت الانواع فالجنس واحد.

واما الاحتفالات القديمة التي اشرتم اليها آخر المقالة فاذكرني منها ما شرطهُ المعظم بن العادل الايوبي لكل من يحفظ المفصل للزمخشري — وذلك مائة دينار وخلعة قال في وفيات الاعيان: فحفظهُ لهذا السبب جماعة ولم اسمع بمثل هذه المنقبة لغيره

منتخبات من كتاب النبراس

في فلك الاقتباس لاحد شعراء الشام

لا تجهدنّ النفس في تدبير ما حاولت في الشدة من رخاء
وهو الذي تلطفاً بخلقه (يدبر الامر من السماء)

بدنياك التي دسمت فسمت وليس لها على حرّ بقاء
عليك اذ انكسرت لجيش هم (بنصر الله ينصر من يشاء)

قيسوا قضاياكم على من مضى (اذ انتم بالعدوة الدنيا)
واستكثروا الزاد لكي تلتقوا فيهم (وهم بالعدوة القصوى)

عباد الله لما جاهدوا في نفائسهم جهادهم الغريبا
(فانزل) من سكينته (عليهم) سنًا (واثابهم فتحًا قريبا)

تجليات ربك هل احاط بكنهها لب
وهل كشف الغطا الا (لمن كان له قلب)

لمن اشاعوا سلوتي عنكم اقولٌ ما يجب
(يا ويلكم لا تفتروا) جهلاً (على الله كذب)

يا من بنظم الشعر دعواهم غدت تستوجب التنكيت والتبكيتا
اياتكم منها الحجارة فصلت (ام تنحتون من الجبال بيوتا)

اذا دعيت لكأس صهباؤها قد تراءت
قل حيث حلت بحرم (بئس الشراب وساءت)

اقاصيص الفرنجة كم تؤدي تلاوتها الى معنى خبيث
فدعيا لا تكن في العلم ممن بلهو (يشتري لهو الحديث)

قالوا وداد الكريم صفه وود من لؤمه مزاج
فقلت (هذا عذب فرات) يحيي (وهذا ملح أجاج)